بسم الله الرحمن الرحيم

حُسْنُ الظَّنِّ بِاللهِ

الْحَمْدُ للهِ الَّذي جَعَلَ حُسْنَ الظَّنِّ بِهِ مِنَ الإِيْمَانِ، وَالتَّمَنِّيَ عَلَيْهِ مِنْ دَلائِلِ العَجْــزِ وَالخذْلانِ، وَأَشْهَدُ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، سُبْحَانَهُ يُنْزِلُ بِرَحْمَتِهِ السَّــكِينَةَ عَلَى المُؤْمِنِينَ، وَيُقَوِّي بِاليَقِينِ عَزَائِمَ المُتَّقِينَ، وَيُبَارِكُ جُهْدَ المُخْلِصِينَ الجَادِّينَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ المُصْطَفَى، وَرَسُولُهُ المُؤَيَّدُ المُجْــتَبَى، أَرْبَطُ الخَلْقِ جَأْشًا عِنْدَ الشَّدَائِدِ، وَأَعْظَمُهُمْ ثِقَةً فِي اللهِ مَهْمَا وَاجَهَ وَكَابَدَ، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الأَخْيَارِ، وَعَلَى أَتْبَاعِهِ إِلَى يَوْمِ البُرُوزِ للهِ الوَاحِدِ القَهَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَاتَّقُوا اللهَ – عِبَادَ اللهِ –، فَإِنَّ تَقْوَى اللهِ أَفْضَلُ الزَّادِ فِي الدَّارَيْنِ، وَسَبِيلُ الفَوْزِ بِالسَّعَادَتَيْنِ: سَعَادَةِ الدُّنْيَا وَسَعَادَةِ الآخِرَةِ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1]، وَاعلَمُوا – رَحِمَكُمُ اللهُ – أَنَّ حُسْنَ الظَّنِّ بِاللهِ، وَالثِّقَةَ فِي عَوْنِهِ جَلَّ فِي عُلاهُ، دَلِيلُ الإِيمَانِ وَمُقْتَضَاهُ، وَلِذَلِكَ أَوْصَى رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالاستِمْرَارِ عَلَيْهِ إِلَى آخِرِ رَمَقٍ فِي الحَيَاةِ، فَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: ((لا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلاَّ وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللهِ))، وَحُسْنُ الظَّنِّ بِاللهِ مَنْهَجُ الأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ، يُتَرْجِمُونَهُ سُلُوكًا فِي جَمِيعِ تَصَرُّفَاتِهِمْ، قَالَ الحَقُّ تَعَالَى عَنْ مُوسَى –عَلَيْهِ السَّلامُ – وَقَوْمِهِ: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ، قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾[2]، وَفِي سِيرَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ صُوَرٌ نَاصِعَةٌ مِنْ حُسْنِ الظَّنِّ بِاللهِ وَالثِّقَةِ

(١) سورة الحديد / ٢٨ .

(٢) سورة الشعراء / ٦١.

بِهِ، فَبَيْـنَمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي الغَارِ وَالكُفَّارُ عَلَى بَابِهِ قَالَ أَبُوْ بَكْرٍ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ–: يَا رَسُولَ اللهِ، وَاللهِ لَوْ نَظَرَ أَحَدُهُمْ تَحْـتَ قَدَمِهِ لَرَآنَا، فَقَالَ ﷺ بِلِسَانِ الوَاثِقِ بِاللهِ: ((مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا؟! لا تَحْـزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا))، وَيُسَجِّـلُ القُرآنُ هَذَا المَوقِفَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾(١).

أَيُّهَا المُسلِمُونَ:

إِنَّ حُسْنَ الظَّنِّ بِاللهِ لَيْسَ شَقْشَقَةً بِاللِّسَانِ، وَلا أَمَانِيَّ فَارِغَةً تَخْتَلِجُ فِي الجَنَانِ، بَلْ هُوَ اعتِقَادٌ جَازِمٌ صَادِقٌ، وَيَقِينٌ ثَابِتٌ فِي اللهِ تَعَالَى، يُثْمِرُ سُلُوكًا مُستَقِيمًا فِي الحَيَاةِ، إِنَّهُ حَقِيقَةٌ تُتَرْجَمُ فِي مَظَاهِرَ مُخْتَلِفَةٍ وَجَوَانِبَ مُتَعَدِّدَةٍ، فَمِنْ مَظَاهِرِ حُسْنِ الظَّنِّ بِاللهِ تَعَالَى إِثْبَاتُ صِفَاتِ الجَمَالِ وَالجَلالِ للهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَحَمْـلُ أَفْعَالِهِ وَأَحْكَامِهِ جَلَّ جَلالُهُ عَلَى المَحَامِلِ الحَسَنَةِ، فَقَدْ عَلَّمَنَا رَبُّنَا سُبْحَانَهُ أَنْ نَرُدَّ كُلَّ خَيْرٍ إِلَيْهِ، وَإِذَا حَدَثَ ضُرٌّ رَدَدْنَاهُ إِلَى تَقْصِيرِنَا، فَقَالَ جَلَّ شَأْنُهُ لِنَبِيِّهِ ﷺ : ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾(٢)، وَالمُؤْمِنُ يُوقِنُ بِأَنَّ اللهَ لَنْ يَتْرُكَهُ وَلَنْ يُضَيِّعَهُ، حَتَّى لَوْ تَخَلَّى عَنْهُ كُلُّ مَنْ فِي الأَرْضِ، فَثِـقَتُهُ بِمَا عِنْدَ اللهِ أَكْبَرُ مِنْ ثِقَتِهِ بِمَا عِنْدَ النَّاسِ، فَلا حَوْلَ لأَيِّ قُوَّةٍ فِي العَالَمِ وَلا طَوْلَ لَهَا إِلاَّ بَعْدَ أَنْ يَأْذَنَ اللهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾(٣)، وَالَّذِي يُحْسِنُ الظَّنَّ بِرَبِّهِ تَرَاهُ دَائِمًا هَادِئَ البَالِ سَاكِنَ النَّفْسِ مَهْمَا ادْلَهَمَّتِ الخُطُوبُ، فَهُوَ يَعلَمُ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ، وَلِسَانُ

(١) سورة التوبة / ٤٠ .
(٢) سورة النساء / ٧٩ .
(٣) سورة الجن / ١٣ .

حَالِهِ: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾(١)، إِنَّهُ يُوقِنُ أَنَّ مَا نَزَلَ بِهِ مِنْ بَلاءٍ لَمْ يَكُنْ إِلاَّ خَيْرًا لَهُ؛ يَرفَعُ اللهُ بِهِ الدَّرَجَاتِ فِي الآخِرَةِ أَوْ يَدفَعُ عَنْهُ شَرًّا أَعْظَمَ مِمَّا ابتَلاهُ بِهِ، أَوْ يُعَوِّضُهُ خَيْرًا مِمَّا فَقَدَ فِي عَاجِلٍ أَوْ آجِلٍ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: ((مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ)) أَيْ: يَبْتَلِيهِ بِالمَصَائِبِ لِيُثِيبَهُ، وَعَنْ أَنَسٍ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: ((إِنَّ عِظَمَ الجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ البَلاءِ، وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابتَلاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ)).

أَيُّهَا المُسلِمُونَ:

إِنَّ حُسْنَ الظَّنِّ بِاللهِ تَعَالَى يَعُودُ عَلَى المُسلِمِ بِفَوَائِدَ عَظِيمَةٍ، وَمِنَحٍ إِلَهِيَّةٍ كَرِيمَةٍ، فِي نَفْسِهِ وَعِيَالِهِ، وَمُجتَمَعِهِ وَمَالِهِ، فَهُوَ يَغْرِسُ فِي قَلْبِهِ مَحَبَّةَ اللهِ وَتَعْظِيمَهُ، وَالخَوفَ وَالرَّجَاءَ مِنْهُ سُبْحَانَهُ، وَالإِنَابَةَ إِلَيْهِ وَالتَوَكُّلَ عَلَيْهِ وَالاعتِصَامَ بِهِ، فَيَحْمِلُهُ ذَلِكَ عَلَى مَزِيدِ العَمَلِ؛ لإِيقَانِهِ بِأَنَّ عَمَلَهُ لَنْ يَضِيعَ، ثِقَةً بِوَعْدِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ إِذْ قَالَ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾(٢)، وَالوَاثِقُ بِاللهِ يُعَامِلُ أَفْرَادَ أُسْرَتِهِ وَمُجتَمَعِهِ بِالبِرِّ وَالفَضْلِ وَالإِحْسَانِ، وَيَصْفَحُ عَمَّا يَصْدُرُ عَنْهُمْ مِنَ تَقْصِيرٍ وَهِجْرَانٍ؛ طَمَعًا فِي عَفْوِ اللهِ وَمَغْفِرَتِهِ، وَهَرَبًا مِنْ غَضَبِهِ وَعُقُوبَتِهِ، وَلْنَتَأَمَّلْ – عِبَادَ اللهِ – قِصَّةَ نُزُولِ قَولِهِ تَعَالَى: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(٣)، فَقَدْ نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ فِي أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ–

(١) سورة التوبة / ٥١ .
(٢) سورة الكهف / ٣٠ .
(٣) سورة النور / ٢٢.

لَمَّا مَنَعَ العَطَاءَ عَنْ قَرِيبِهِ مِسْطَحِ بْنِ أُثَاثَةَ بِسَبَبِ مَوقِفِهِ مِنْ حَادِثَةِ الإِفْكِ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ تُذَكِّرُ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ وَتُذَكِّرُ المُؤْمِنِينَ، بِأَنَّهُمْ إِذَا كَانُوا يُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ، فَلْيَعْفُوا عَمَّنْ أَخْطَأَ وَأَسَاءَ إِلَيْهِمْ، فَتَأْتِي استِجَابَةُ النُّفُوسِ الزَّكِيَّةِ، الَّتِي تَطَهَّرَتْ بِنُورِ اللهِ، وَتَمَكَّنَ مِنْهَا حُسْنُ الظَّنِّ فِي عَفْوِهِ وَرِضَاهُ، فَمَا يَكَادُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – يَسْمَعُ دَعْوَةَ رَبِّهِ إِلَى العَفْوِ، وَمَا يَكَادُ يَلْمِسُ وِجْدَانَهُ ذَلِكَ السُّؤَالُ المُوْحِي: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾، حَتَّى يَرتَفِعَ عَنِ الآلامِ، وَتَشِفَّ رُوحُهُ وَتُشْرِقَ بِنُورِ اللهِ، لِيُلَبِّيَ دَاعِيَ اللهِ فِي طُمَأْنِينَةٍ وَصِدْقٍ وَيَقُولَ: ((بَلَى وَاللهِ إِنِّي لأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لِي))؛ وَيُعِيدَ إِلَى قَرِيبِهِ النَّفَقَةَ الَّتِي كَانَ يُنْفِقُهَا عَلَيْهِ، وَيَحلِفَ: وَاللهِ لا أَنْزِعُهَا مِنْهُ أَبَدًا.

أَيُّهَا المُسلِمُونَ:

لَقَدْ ظَنَّ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّ حُسْنَ الظَّنِّ بِاللهِ يَقْتَضِي الاعتِمَادَ عَلَى سَعَةِ عَفْوِهِ وَرَحْمَتِهِ مَعَ تَعْطِيلِ أَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ، فَاجْتَرَأَ عَلَى المَعَاصِي، وَاتَّبَعَ هَوَى النَّفْسِ الخَامِلَةِ، الَّتِي لَمْ تَأْلَفِ الجِدَّ وَالاجتِهَادَ، وَلَمْ تُؤْمِنْ بِمَبْدَأِ التَّهَيُّؤِ وَالاستِعْدَادِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ، وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[1]، إِنَّ الفَرْقَ بَيْنَ الرَّجَاءِ وَالتَّمَنِّي أَنَّ الرَّجَاءَ يُصَاحِبُهُ بَذْلُ الجُهْدِ فِي الإِتْيَانِ بِأَسْبَابِ الظَّفَرِ وَالفَوْزِ، وَالتَّمَنِّيَ حَدِيثٌ فِي النَّفْسِ بِحُصُولِ النَّجَاةِ مَعَ تَعْطِيلِ الأَسْبَابِ المُوصِلَةِ إِلَيْهَا، عَلَى أَنَّ القُرآنَ حَصَرَ الأَمْنَ وَالطُّمَأْنِينَةَ، وَقَصَرَ النَّجَاةَ وَالسَّكِينَةَ فِي عِبَادِ اللهِ المُؤْمِنِينَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[2]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم

(١) سورة فصلت / ٢٢-٢٣.

(٢) سورة البقرة / ٢١٨ .

بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾[١]، وَأَمَّا الأَمَانِيُّ فَإِنَّهَا رُؤُوسُ أَمْوَالِ المُفْلِسِينَ، تَصْدُرُ مِنْ قَلْبٍ تَزَاحَمَتْ عَلَيْهِ وَسَاوِسُ النَّفْسِ فَأَظْلَمَ مِنْ دُخَانِهَا، وَاستَمْرَأَ حُبَّ شَهَوَاتِهَا، وَكُلَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ تَمَنَّى حُسْنَ العَاقِبَةِ وَالنَّجَاةَ، وَأَحَالَتْهُ إِلَى العَفْوِ وَالمَغْفِرَةِ وَالفَضْلِ، وَمَا هِيَ إِلاَّ وَسَاوِسُ وَأَمَانِيُّ بَاطِلَةٌ، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾[٢]، وَقَدْ جَاءَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – أَنَّهُ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾[٣] بَلَغَتْ مِنَ المُسلِمِينَ مَبْلَغًا شَدِيدًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : ((قَارِبُوا وَسَدِّدُوا؛ فَفِي كُلِّ مَا يُصَابُ بِهِ المُسلِمُ كَفَّارَةٌ، حَتَّى الشَّوكَةِ يُشَاكُهَا))، لَقَدْ أَمَرَهُمْ ﷺ بِالمُقَارَبَةِ وَالتَّسْدِيدِ، وَالعَمَلِ الصَّالِحِ الرَّشِيدِ، لِلنَّجَاةِ مِنَ العَذَابِ الشَّدِيدِ، وَالظَّفَرِ بِالسَّعَادَةِ يَوْمَ الوَعِيدِ، وَعَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – عَنِ النَّبِيِّ ﷺ : ((الكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ المَوْتِ، وَالعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللهِ الأَمَانِيَّ)).

فَاتَّقُوا اللهَ – عِبَادَ اللهِ –، وَأَحْسِنُوا الظَّنَّ بِرَبِّكُمْ، بِإِصْلاحِ أَعْمَالِكُمْ، وَإِخْلاصِ جِدِّكُمْ وَاجْتِهَادِكُمْ؛ تَسْعَدُوا فِي حَيَاتِكُمْ، وَتَخْلُدُوا فِي الجَنَّةِ بَعْدَ مَمَاتِكُمْ.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ البَرُّ الكَرِيمُ.

*** *** ***

(١) سورة الأنعام / ٨٢ .

(٢) سورة النساء / ١٢٣ .

(٣) سورة النساء / ١٢٣ .

الْحَمْدُ للهِ مُصْـلِحِ شَأْنِ المُؤْمِنِينَ، وَقَابِلِ تَوْبِ التَّائِبِينَ المُخْلِصِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَى المَبْعُوثِ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَمَنْ تَبِعَهُ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا عِبَادَ اللهِ:

إِنَّ سُوءَ الظَّنِّ بِاللهِ سَبَبٌ لِكَثِيرٍ مِنَ الضُّرِّ وَالبَلاءِ، وَمَنْبَعٌ لِلأَدْوَاءِ، لا تَسْـتَقِيمُ مَعَهُ سِيرَةٌ، وَلا يَصْـلُحُ لِصَاحِبِهِ قَلْبٌ وَلا سَرِيرَةٌ، وَثِمَارُهُ مُرَّةٌ وَخَطِيرَةٌ، جَاءَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا – أَنَّهُ قَالَ: ((الجُبْنُ وَالبُخْـلُ وَالحِرْصُ غَرَائِزُ سَوْءٍ، يَجْمَعُهَا كُلُّهَا سُوءُ الظَّنِّ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ))، وَقَدْ أَوْرَدَ القُرآنُ الكَرِيمُ نَمَاذِجَ مُتَعَدِّدَةً مِنْ أَمَانِيِّ المُبْطِلِينَ، وَسَرَدَ صُوَرًا مِنْ خَيَالاتِ المُتَقَاعِسِينَ، وَأَشْكَالاً مِنْ أَوْهَامِ المُفْلِسِينَ؛ تَرْبِيَةً وَتَهْـذِيبًا لِنُفُوسِ المُؤْمِنِينَ، فَقَدْ أَنْكَرَ عَلَى الَّذِينَ ظَنُّوا بِاللهِ ظَنَّ السَّوْءِ بِزَعْمِهِمْ أَنَّهُ تَعَالَى شَاءَ لَهُمُ الكُفْرَ وَالعِصْيَانَ، وَنَسُوا أَوْ تَنَاسَوا أَنَّ عِصْيَانَهُمْ مَرَدُّهُ إِلَى هَوَاهُمْ وَطَاعَتِهِمْ لِلشَّيْطَانِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ﴾[1]، وَبَيَّنَ الحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَاقِبَةَ الَّذِينَ يُسِيؤُونَ الظَّنَّ فِي عِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ وَسَائِرِ صِفَاتِهِ، وَيَتَجَرَّؤُونَ عَلَى مُخَالَفَةِ آيَاتِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَتِرُونَ أَن يَشۡهَدَ عَلَيۡكُمۡ سَمۡعُكُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُكُمۡ وَلَا جُلُودُكُمۡ وَلَٰكِن ظَنَنتُمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعۡلَمُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَعۡمَلُونَ﴾[2]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ مِمَّا يَأۡكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلۡأَنۡعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ

(١) سورة الأنعام / ١٤٨ .

(٢) سورة فصلت / ٢٢ .

بِٱلۡأَمۡسِۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[١]، وحَذَّرَ اللهُ تَعَالَى أُولَئِكَ المُجْتَرِئِينَ عَلَى أَحْكَامِهِ، بِتَحْرِيمِ حَلالِهِ وَتَحْلِيلِ حَرَامِهِ، فَقَالَ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَشۡكُرُونَ ﴾[٢]، وتَوَعَّدَ اللهُ المُنَافِقِينَ الَّذِينَ هُمْ دَاءُ المُجتَمَعَاتِ، ولُوثَةُ الأُمَمِ والحَضَارَاتِ، الظَّانِّينَ بِاللهِ ظَنَّ السَّوْءِ، فَقَالَ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَلَعَنَهُمۡ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾[٣].

فَاتَّقُوا اللهَ – عِبَادَ اللهِ –، وَإِيَّاكُمْ وَسُوءَ الظَّنِّ بِرَبِّكُمْ، فَإِنَّهُ أَهْلَكَ الأُمَمَ مِنْ قَبْلِكُمْ، وَعَلَيْكُمْ بِالجِدِّ فِي طَلَبِ نَجَاتِكُمْ، وَالإِخْلاصِ للهِ فِي سَائِرِ أَعْمَالِكُمْ؛ يُحْسِنْ بِفَضْلِهِ عَاقِبَتَكُمْ.

هَذَا وَصَلُّوْا وَسَلِّمُوْا عَلَى إِمَامِ الْمُرْسَلِيْنَ، وَقَائِدِ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِيْنَ، فَقَدْ أَمَرَكُمُ اللهُ تَعَالَى بِالصَّلاَةِ وَالسَّلاَمِ عَلَيْهِ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ حَيْثُ قَالَ عَزَّ قَائِلاً عَلِيْمًا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [٤].

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وسَلَّمْتَ عَلَى سَيِّدِنا إِبْرَاهِيْمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنا إِبْرَاهِيْمَ، وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيْمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنا إِبْرَاهِيْمَ، فِي العَالَمِيْنَ إِنَّكَ حَمِيْدٌ مَجِيْدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِيْنَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِيْنَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِيْنَ، وَعَنْ المُؤْمِنِيْنَ وَالمُؤْمِنَاتِ إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ

(١) سورة يونس / ٢٤ .
(٢) سورة يونس / ٦٠ .
(٣) سورة الفتح / ٤-٦ .
(٤) سورة الأحزاب / ٥٦ .

الرَّاحِمِيْنَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعَنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُوْمًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُوْمًا، وَلا تَدَعْ فِيْنَا وَلا مَعَنَا شَقِيًّا وَلا مَحْرُوْمًا. اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى وَالعَفَافَ وَالغِنَى.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تَرْزُقَ كُلاًّ مِنَّا لِسَانًا صَادِقًا ذَاكِرًا، وَقَلْبًا خَاشِعًا مُنِيْبًا، وَعَمَلاً صَالِحًا زَاكِيًا، وَعِلْمًا نَافِعًا رَافِعًا، وَإِيْمَانًا رَاسِخًا ثَابِتًا، وَيَقِيْنًا صَادِقًا خَالِصًا، وَرِزْقًا حَلاَلاً طَيِّبًا وَاسِعًا، يَا ذَا الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلاَمَ وَالْمُسْلِمِيْنَ، وَوَحِّدِ اللَّهُمَّ صُفُوْفَهُمْ، وَأَجْمِعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الحَقِّ، وَاكْسِرْ شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَاكْتُبِ السَّلاَمَ وَالأَمْنَ لِعِبادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعِزَّ سُلْطَانَنَا وَأَيِّدْهُ بِالْحَقِّ وَأَيِّدْ بِهِ الْحَقَّ يَا رَبَّ العَالَمِيْنَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا اسْقِنَا مِنْ فَيْضِكَ الْمِدْرَارِ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الذَّاكِرِيْنَ لَكَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، الْمُسْتَغْفِرِيْنَ لَكَ بِالْعَشِيِّ وَالأَسْحَارِ.

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي ثِمَارِنَا وَزُرُوْعِنَا وَكُلِّ أَرْزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ.

رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوْبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا، وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً، إِنَّكَ أَنْتَ الوَهَّابُ.

رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُوْنَنَّ مِنَ الخَاسِرِيْنَ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِيْنَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَالْمُسْلِمِيْنَ وَالْمُسْلِمَاتِ، الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيْعٌ قَرِيْبٌ مُجِيْبُ الدُّعَاءِ.

عِبَادَ اللهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾.